الإصلاحات الإدارية العثمانية في اليمن في عهد السلطان عبد الحميد الثاني (١٨٧٦-١٩٠٩م)

د . محسن محمد عايض علي الدربي[١]

يتناول البحث الأوضاع الإدارية للولايات العثمانية في اليمن في عهد السلطان عبد الحميد الثاني، التي ركزت بدورها على علاقة كل ولاية وطبيعة التعامل معها عن طريق الولاة العثمانيين الذين يتم توليتهم من قبل السلطان عبد الحميد الثاني.

كما يبرز البحث لطبيعة الإصلاحات الإدارية التي بدورها شملت الجوانب الاقتصادية، فضلاً عن الاهتمام الذي كان يحظى به علماء ومشايخ اليمن في ولاياتهم من قبل الإدارة العثمانية، وما ترتب على ذلك من استقرار لتلك الولايات وتنظيمها ادارياً في ظل السيادة العثمانية، وهو ما تناولته الوثائق العثمانية في ابرازها لأهم تلك الإصلاحات في اليمن.

Abstract:

The research presents the administrative situations of the Osmani states in Yemen in the era of sultan Abdulhameed the second. It points out that the administrative situations had focused on the relations among the states, and how each state's leader had dealt with the other states.

The research also shows that the economical case had been taken into consideration in the administrative

١ – أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر المساعد، وعضو هيئة التدريس بكلية التربية أرحب – جامعة صنعاء.

reformations. In addition, it explains how yemen's religions scholars and sheikhs had been well and respectfully dealt with under the Osmani administration.

Finally, it is important to mention that that Osmani documents have indicated those reformations in Yemen, and how the states there had been stable and well administered under the Osmani reign.

المقدمة:

يمثل السلطان عبد الحميد الثاني ١٨٧٦-١٩٠٩م بالنسبة للولايات العربية الواجهة الحقيقية والصادقة، حيث أولى تلك الولايات اهتماماً كبيراً، ولاسيما اليمن اذ كلف ولاه مدنيين بثوب عسكريين وانتقاهم من أصحاب الخبرات وذوي الحنكة في الإدارة، فضلاً عن حسن تعالهم مع الأهالي.

ولد السلطان عبد الحميد في قصر جراغات في الإستانة يوم الأربعاء ٢١سبتمبر ١٨٤٢م، فهو ابن السلطان عبدالمجيد الأول، وأمه السيدة (تيرمكشان الشركسية) ماتت وهو في العاشرة من عمر، فاحتضنته المحظية الأولى (برستوهانم) وتعهدت بتربيته وصارت أمه معنوياً، درس الموسيقى في شبابه والادب العثماني والعلوم الإسلامية، وتعلم السياسة والاقتصاد، كما رافق عمه السلطان عبد العزيز في رحلته الى مصر، والى عدد من الدول الاوربية، تولى عرش السلطنة خلفاً لأخيه مراد الخامس في ٧ سبتمبر ١٨٧٦م وخلع بانقلاب ٢٧ ابريل١٩٠٩م ووضع رهن الإقامة الجبرية حتى مماته.

يعرف عبدالحميد بـ(أولو سلطان عبدالحميد خان) أي الخاقان الكبير، وهو آخر من امتلك سلطة فعلية من السلاطين العثمانيين. وفي عهده أنشأت سكة حديد الحجاز، وحدثت ما يسمى بمجزرة الأرمن، وفي عهده أيضاً دعا بعض المثقفين الى إصلاحات دستورية وتعليمية من بينها تقييد سلطات السلطان عبدالحميد وهو ما سمي بالمشروطية، ولما رفض تلك المطالب دبرت جمعية الاتحاد والترقي عام ١٩٠٨ انقلاب عليه تحت شعار (حرية – عدلة – مساواة) وتعهد الانقلابين بوضع حدَّ للتميز في الحقوق والواجبات بين السكان على

أساس الدين والعرف، إلا أنه بعد أن تربعوا على كرسي السلطة نادوا بالطورانية والتتريك ونال العرب من الاضطهاد مالم ينالونه في عهد السلطان عبدالحميد الثاني.

لذلك سوف يتطرق البحث إضافة إلى – تمت الإشارة الية – مساعي عبد الحميد الثاني الإصلاحية في اليمن، والإجراءات المتخذة في اليمن من قبله وتشكيله للجندرمة، ووضع القوات العسكرية العثمانية في اليمن.

١) مساعي السلطان عبد الحميد الثاني في اليمن:

أمر السلطان عبد الحميد الثاني ولاة اليمن بتطبيق القانون، وطلب اليهم مدَّ الفلاحين بالمواد والبذار اللازمين لهم، كما طلب اليهم عدم ممارسة ضغوطات ضرائبية عليهم، وخاصة أثناء جمعها منهم، كما أمر بإلحاق مفتي اليمن بالمؤسسة الدينية بعدما كانوا يفتون دون مقابل، ويتخذون الجوامع للإفتاء ببعض الأمور الشرعية. ومما جاء في الفرمان الذي وجه إلى والي اليمن المشير أحمد عزت باشا في ١٥ ذي الحجة لسنه ١٢٩٧ه/ ١٨٧٩م وبعد استلامه بشهر بناء على كتاب وجهه علاء اليمن الى الحضرة الشاهانية.

إلى أمير مراء اليمن وقضاتها الكرام [١]

نطلب اليكم ارسال أسماء العلماء والفقهاء اليمنيين الذين يشتهرون بالحكمة والفطنة، ليصا ادراج أسمائهم في لائحة الإفتاء، وقد أعلمنا مشيخة الباب العالي بذلك، وسيرد اليكم أسماء العلماء والفقهاء، ويصبحون يتقاضون رواتب مشيخة استانبول، كما يطلب اليك مشاورتهم في الأمر، وعلى قاضي قضاة اليمن، وعلى مفتي اليمن المتمركز في صنعاء وصفي أفندي اعداد لائحة بأسماء المفتين في سائر السناجق والأقضية، ويجب التأكد من نسب مفتي المخاتير، فقد ورد الى عتبتنا الهمايونية نشوب خلاف بناءً على كتاب قدمه مدير الرسومات(أحد زائد أفندي) واعلامنا بالسرعة المطلوبة لتفادي

١ – أرشيف رئاسة الوزراء، قسم يلدز، محفظة رقم ٢٥٧ كرتونة رقم ٣٧ لف ٢+٣.

عدم نشوب أي خلاف، فاليمنيون أهل علم ومعرفة في الشرع الشريف، ولايجوز أن يمارس الإفتاء من قبل هؤلاء العلماء في المساجد فلا بد من تصويب الأمر. أولبابده أمر وفرمان صاحب الأمر[١].

١٥ ذي الحجة ١٢٩٧هـ/١٨٧٩م.

ومن الاهتمامات التي قدمها السلطان عبد الحميد إلى اليمنيين إنشاء مكتب رشيدية في صنعاء، وقد ورد فرمان من نظارات المعارف بدفع تكاليف بناء مدرسة رشيدية، وأسماء مدرسيها وهم:

حافظ محمد أفندي معلم أول.

وصفي أفندي معلم ثانٍ وكان سابقاً يعمل كمفتي في الكتيبة العسكرية.

أحمد بن علي الأنسي معلم عربي في صنعاء

سيد أحمد الناشري معلم صبيان[٢].

وقد أرسلت نظارات المعارف في استانبول مبلغ قدره ٤٧٨١ فرنكاً لإعمار المدرسة، إلا أن كتاب نظارات المعارف، يؤكد على استئجار بناء المدرسة، وذلك بتوجيه صاحب الإكبار والتقدير مولانا السلطان عبد الحميد خان أدام الله عزه أمين.

كما وجه أهالي اليمن الى حضرة شهرياري السلطان عبد الحميد الثاني، يطلبون فيه التخفيف من الضرائب لسنة ١٣٠٨ه/١٨٩٠م، لأن الجراد أتلف المحصولات، وقد أيدهم في طلبهم والي اليمن إسماعيل حقي باشا، حيث أرفق مع طلبهم ثلاث عشر سند إيصال إيرادات الجمارك، والممالح في سنجاق الحديدة وجيزان والمخا وكمران والكثير والزهرة ومدن أخرى، وافرد كتاباً خاصاً بمدينة صنعاء، واصفاً اياها بالمدينة التي تستقطب معظم اليمنيين، وان زراعتها محدودة، وتعاني عجزاً مالياً كبيراً[٣]. وقد قدم إسماعيل حقي باشا الى مقام الصدر الأعظم على صائب باشا، طالباً إعالة الجيش المتركزين في صنعاء، وأشار في كتابة بأن الجيش لا يواجه أية خلافات مع أهالي صنعاء،

---

١ – نظارات المعارف والنشرة العثمانية لسنة ١٢٩٧هـ، ص٩٣.

٢ – نظارت معارف إستانبول، سجلات الإفتاء رقم ٩٨و١٠٣.

٣ – أرشيف رئاسة الوزراء، إستانبول، إدارة داخلية رقم ١٨٥٧.

وأنهم رغم قصر يديهم، وتعرض مناطقهم للجفاف فإنهم يقدمون الى الجيش مساعدات عينية، كما أرفق رسالة نقيب الأشراف في الولاية وقائم مقام بيت الفقية السيد أمين عبدالقادر البحر، بأن مشايخ وعشائر الزرانيق، قد قدموا الولاء من تلقاء أنفسهم، ووجهوا خطابهم الى نقيب الأشراف، الذي سلمني إياها لإرساله الى صدار تبنادهلري، راجين تقديم ولائهم الى شهرياري وأمير أمراء المؤمنين عبدالحميد خان حفظه الله وأدام عزه[١].

وجاء في الوثيقة التي وصلت استانبول بواسطة الوالي إسماعيل حقي باشا:

الحمد الله... حضرت سيدي المالك الكرام المحترم العلامة نقيب الأشراف وسادات اليمن السيد أمين عبد القادر البحر... حفظه الله.

بعد اهداء مزيد من السلام وتقبيل أياديكم الكرام، ورحمة الملك العلام سيدي، لقد تشرفنا بورود كتابكم منطوقه العالي نصايح لنا، ولكافة المشايخ وعقال ورعاية قبيلة الزرانيق بالسمع والطاعة والامتثال لأوامر الدولة العليا والاقبال للحكومة المحلية والسعي اليها بالصلاح والفلاح، فحال وصول شرفكم الكريم، أرسلت الى المشايخ والعقال والرعايا، وأفهمناهم جميع ما أشرتم اليه، وقد أدركوا كلامكم وامتثلوا لكم بلسان واحد، معلنين ولاءهم للدولة العلية، وممتنعين عن إيذاء الطريق والمحافظة علية أمناً تاماً وان شاء الله تعالى سنقيم شوكت دولتنا وسطوتها ونعمل على رفع رايتها الى أن يرث الله الأرض وما عليها وهو خير الوارثين، وهذا جوابنا آملين القبول وحسنه، والله ولي نصر المؤمنين[٢].

شيخ مشايخ الزرانيق

محمد عبدالله فاشق

لم يتسن لوالي اليمن إسماعيل، استلام كتاب الولاء من قبائل الزرانيق، لكنه أعلم الصدر الأعظم بذلك، لأنه توفي سنه ١٨٩١م، وعين خلفاً له حسين

2- Irade dihillye NO. 2366 sene 1300 H, 1888 Miladl.

٢ – أرشيف رئاسة الوزراء، استانبول، إدارة داخلية تصنيف يلدز، كرتونه ٤/٦١ تاريخ ١ ربيع الثاني ١٣٠٩هـ/ تشرين الثاني ١٨٩١م.

أديب باشا، الذي أرسل الرسالة التي سلمه إياها نقيب أشراف اليمن، فوجهها الى حسين عوني باشا غير أن حسين عوني باشا لم يقدمها الى السلطان العثماني، واكتفى بالقول له شفهياً[١].

تسلم نقيب أشراف اليمن كتاباً من أقضية اليمن وقراها يعلنون فيها الولاء، للدولة العثمانية، ويخصون السلطان عبد الحميد الثاني بالود والطاعة والولاء، وقد سلم نقيب الأشراف ولاء أقضية اليمن وقبائلها الى والى اليمن أحمد فوزي بدوره أرسله الى مقام الصدر الأعظم حسن رضا باشا الذي سلمه الى السلطان عبد الحميد الثاني، فأصدر الفرمان التالي:

إلى والي اليمن وقضاتها ونقيب أشرافها أدام الله اقبالكم:

كنا نعلم ونعرف أن أهل اليمن أهل ود وإخلاص، وان عصيانكم سابقاً كان بسبب الولاه والجباة والعساكر، واتباعهم القسوة في المعاملة، وعدم تقدير العلماء والأشراف الذين ينحدرون من سلالة الرسول الأعظم، ولهذا أمرنا بأن تخفض ضرائب اليمن وأن تقام الأسواق، ويمارس أهلها التجارة بحرية، ويعفون من ضريبة الخراج والعشر لمدة ثلاث سنوات، والمناطق التي تتعرض للجفاف أو لكوارث طبيعية فتعفى لمدة خمس سنوات، وقد أمرنا والى اليمن بإعداد لائحة عن حاجيات اليمن من مدارس وخطوط تلغراف ومدارس طبية، لأن مناطق اليمن قد تصاب بأوبئة، وأمرنا أن تقوم عساكر الشاهانية بتقديم الخدمات للمصابين بالأمراض مجاناً، وخدرنا عبيدنا العاملين في خدمتكم من ممارسة التعدي أو ارتكاب ما يسئ للأهالي، فاليمن وصية هادينا محمد صلى الله عليه وسلم وتفضلت مشيختنا بإدراج جميع أئمة اليمن ومفتيها في قوائمها ليصار الى تحديد رواتب شهرية لهم، وفي هذا الحال الأمر لصاحب الأمر.

دولت علية شهرياري

١٣ صفر ١٣١١هـ/ مارس ١٨٩٣م[٢].

لقد أفادت الوثائق العثمانية المصنفة في تصنيف يلدز سراي، أن السلطان عبد الحميد الثاني زود ولاة اليمن بفرمانات حذره فيها من ممارسة العنف ضد

١- للمزيد حول ذلك: رضا نور، عثمانيلي تاريخي، استانبول، ١٩٢٤، ج٥، ص٤٦٧.

٢ - أرشيف رئاسة الوزراء، يلذر تصنيفي، محفظة رقم ٣٥٨ كرتون ١٩٨ وثيقة رقم ٥/٣١٨.

أهلها، وعلى العساكر الشاهانية بحراسة الطرق والممرات الجبلية التي قد يتعرض لها أهالي اليمن، من أخطار كبيرة، كما طلب من الولاة مراقبة الإنجليز الكفار الذين يسرقون خيرات اليمن بدلاً من مراقبة اليمنيين الذين يعيشون حياة ضنك فقر، وأن بلادهم بحسب موقعها تتكالب الدول الأوربية على السيطرة عليها لعبور تجارتهم عبر باب المندب، كذلك فقدان الامدادات التموينية والأسلحة والذخيرة التي ترسل الي اليمن، لا تصل الى العسكر الشاهانية ويحذر الولاة والقادة على ضرورة عدم التدخل بشؤون الأهالي في تهامة، وعدم ممارسات العسكر لابتزاز الأهالي وفرض غرامات عليهم، لأن ذلك يدفع الأهالي الى ترك الأرض بدون زراعة والشباب الى الهجرة حيث يتذرعون بحجة تأدية فريضة الحج، لكن الحقيقة بسبب الضرائب التي تفرض بكثرة، ومحاولة الشباب اليمني التهرب من خدمة العلم فاليمنيون لا يخدمون في بلاد الغير إلا كمجاهدين[١].

إن ما أشار اليه جودت في تاريخه هو نصف الحقيقة، فاليمنيون إضافة الى تجنيدهم والضرائب المفروضة عليهم، فهم يعانون تعسف الجباه، وتجاوزت الجند وممارساتهم اللاأخلاقية من الاعتداء على المحرمات، علماً بأن اليمنيين لم يطالبوا بالانفصال عن الدولة العثمانية، وأنهم قدوا الطاعة الى السلاطين[٢]، ويفتخرون بسلطان المسلمين السلطان عبد الحميد الذي فتح لهم مشافي عساكره لمداواة المرضى من اليمنيين، كما أنه خفف عنهم الضرائب ومنح القضاة اليمنيين أحقية القضاء في بعض الأمور ولاسيما الشرعية منها[٣].

٢-الإجراءات المتخذة في اليمن من قبل السلطان عبد الحميد:

ازداد توجه اهتمام السلطان عبد الحميد الثاني ١٨٧٦-١٩٠٩م الى البلاد العربية، وتطلع اليها كورقة رابحة بيده، ولهذا حاول نفي خصومه اليها لاسيما إلى ليبيا واليمن، وقد أولى السلطان عبد الحميد اليمن شوافعه وزيدية اهتماماً

١ – اليمن لا ئحتي محمد خليل أفندي، أرشيف رئاسة الوزراء، جودت نافعة رقم ١٤٣٥.

٢ – المرجع السابق، نفسه.

٣ – مجموعة مؤلفين، السلطان عبد الحميد ثاني ودور سلطنتي، استانبول ١٣٠٥هـ، ص٣٢.

خاصاً وانهم أخوته في الإسلام، وسنده يوم تعمل بريطانيا على تغذية عملائها في بلاده، وتصور أن اليمنيين سيعمدون الى اشغال بريطانيا عنه، غير أن بريطانيا كانت قد هيمنت على سواحل البحر الأحمر، ونجحت في إبعاد الخطر العثماني عن تلك المناطق.

أدرك السلطان عبد الحميد بمؤيديه من القادة وبعض الصدور العظام أن ضرب بريطانيا بشكل موجع يأتي من خاصرتها الجنوبية، فوجودها في عدن يشكل خطراً كبيراً على الحجاز (الحرمين الشريفين) وأن إضعافها لن يجدي نفعاً إلا بتزويد اليمن بقوات عسكرية مقاتلة وفعالة، وبناء على اقتراحات القادة، أصدر الفرمان التالي إلى الصدر الأعظم جاء فيه:

إلى مقام الصدر الأعظم دام إقباله:

لقد كثرت تجاوزات الإنكليز الكفار في ممالكنا المحروسة، وبدأ تدخلهم علانية في مملكتنا المحروسة اليمن، حيث عمد هؤلاء الكفرة إلى بث الفتنة بين القبائل اليمنية، وازداد الاقتتال بسبب تقديم أسلحة كافرة بين القبائل، ثم لجأت تحريض القبائل أمثال قبائل حاشد وقبيلة يام، وإثارة الفتنة بين قواتنا البحرية المرابطة في الحديدة والقبائل لدرجة أنّ الأهالي امتنعوا عن التعامل مع عساكرنا وامتنعوا عن البيع أو الشراء حتى عمال ميناء الحديدة امتنعوا عن تزويد سفننا التجارية، وهذا يقتضي من جانب صدارتنا هلرنية اتخاذ موقف صارم ضد الكفرة الفاسقين الانكليز، ويتم الأمر بشكل فعال بتزويد ولايتنا في اليمن بما يلزمها من سلاح وعساكر. وإعلامنا عن الخطوات التي تم إجراءها، وضرورة التفاهم مع اليمنيين حتى لا يفهمون هذا الإجراء أنه ضدهم، وعلى والي الولاية الاجتماع بالزعامات اليمنية، وشرح موقف الدولة العلية من هذا الإجراء[١].

والأمر لمن له الأمر كدر. شوال ١٣١٤هـ/١٨٩٦م.

١- تشكيل الجندرمة في اليمن:

١ – أرشيف رئاسة الوزراء، يلدز تصنيفي، كرتون رقم ٣١١ فرمان رقم ٥٣.

عمد الصدر الأعظم بعدما عقدوا اجتماعاً في ديوانه مع القادة وتقرر أن تثبيت الأمن خطوة أولية لإعداد تشكيلات عسكرية في اليمن١، وقد صرح مفتي الإسلام أحمد زاده أفندي، أن المحافظة على الأمن في اليمن حماية لشرعية القانون وضمان للمؤسسات الدينية القيام بواجبها في شرح مرامي الدولة ولاسيما أن اليمنيين مسلمون وملتزمون بالصلوات ولاسيما صلاة الجمعة، وأن الخطباء سيقومون في فضح الكفرة الإنكليز ومساعيهم التضييق على العساكر الشاهانية، وما يجري من خلافات بين مسلمي اليمن سبب هؤلاء الكفرة ، وأن اليمنيين يدركون أن الدولة العثمانية هي حامية للإسلام والمسلمين[٢].

لم تكن الإجراءات التي اتخذتها الدولة سنة ١٣١٧هـ / ١٨٩٦م هي أول الإجراءات الأمنية التي اتخذت في اليمن من قبل الدولة العثمانية، بل سبقتها إجراءات منذ سنة ١٨٧٢م، لكن الإجراءات التي اتخذت سابقاً، لم تكن جيدة، فقد قصد منها حماية العساكر من هجمات القبائل التي تثور دون سبب وتهاجم دون إنذار وفي إثنائها يضطر العساكر للرد بقوة على المهاجمين، وقد سقط قتلى من الطرفين، وهكذا تتسع دائرة الخلاف بين الطرفين[٣].

أما الإجراءات التي اتخذت منذ ١٨٩٠م، وازدادت بشكل كبير سنة ١٨٩٣م كانت تحمل عدة أهداف في مقدمتها، إخضاع الولاية بكاملها إلى السلطة العثمانية، ووضع حد لتجاوزات الأئمة الزيديين والأدارسة في صبيا عسير اللذين يعملان مع الإنكليز، ولا سيما الإدريسي الذي يتطلع إلى إنشاء خلافة خاصة به في عسير، كما يتطلع لتوسيع نفوذه على حساب جيرانه، فمرة يتحالف مع الأئمة الزيدية، ومرات يقيم اتفاقات سرية مع الكفرة الإنكليز[٤].

إن المعلومات التي حصلت عليها الدولة العلية، دفعتها إلى زيادة عدد قواتها كما أكثرت من الموظفين الأمنيين في اليمن لسببين[٥]:

---

1 - Irade dahiliye, No. 83202.

2 - Divan Ahkars , Adlige N. ٧٣٤ve ٧٣٥ .

3- Arsivi osmail, Muhime Metum, No. ٢٤١٠ .

4 -Irade dahiliye , cevdel Asklrlye, No. ٣١٦٤ .

٥ - جودت، مصدر سابق، ج ٩، ص٣٩٧ .

- السبب الأول: مراقبة الشخصيات المعادية للسلطان ممن أبعدوا إلى اليمن.
- السبب الثاني: مراقبة تحركات الإنكليز السرية داخل اليمن، ومع من تتعامل.

أما قوات الضبطية (الجندرمة) فلقد اتخذ قرار بتشكيلها منذ سنة ١٢٧٦هـ / ١٨٧١م وقد أجاز القانون الخاص بالجندرمة بربطها بنظارة الداخلية أو نظارة الحربية لدى زيادة الاضطرابات في ولاية اليمن.

وقد أقر إسناد ترأس الجندرية إلى شخصية عسكرية برتبة الآي بكي (قائد التشكيل) يساعده في كل سنجق طابور يترأسه قائد الطابور وفي القضاء يترأسه بك ولقائد التشكيل كامل الصلاحية في زيادة الطوابير في الولاية إذا اقتضت الضرورة ذلك[١].

لقد حدد القانون لباس الجندرمة ومهامها، وتركزت مهمتها بالدرجة الأولى على حفظ الأمن في المدن والأقضية، وتأمين تنقل الرعايا، ولهم الحق بالاستعانة بطابور من العساكر أو الآي، إذا وقعوا في مأزق خطر. كذلك فتقع على عاتقهم ملاحقة اللصوص وقطاع الطريق، وحذر القانون استخدام القوة مع المخالفين، لأن مهامهم إلقاء القبض وتسليم المخالفين للمحاكم المختصة[٢].

٢- السناجق والأقضية في ولاية اليمن:

لقد أقرت الأنظمة والقوانين توزع الضابطة على مختلف مدن وأقضية ولاية اليمن، ولا سيما بعد أن استقر الأمر بصورة نهائية على إبقاء اليمن ولاية واحدة ففي مدينة صنعاء مركز الولاية حيث حدد تشكيل قيادة الضابطة أو الضبطية المكلفة بضبط الأمن وربطه في الولاية وسناجقها وأقضيتها ونواحيها، على أن يوزع على كل سنجق طابوراً من الجندرمة المدربة والمجهزة بأسلحة خفيفة وهراوات[٣]، وقد أورد المؤرخ عبدالكريم العزيز جداول بعدد عناصر الجندرمة المكلفة في السناجق والأقضية على النحو التالي:

---

١ – يمن سالنامه سي لسنة ١٣١٦هـ ، ص ٧٠ – ٨٦ .

2 – Reza Nur, yemen vila yetInde Janderme Teskilatl, Istanbul, ١٩٢٨. S.٩٢.

٣ – أفادت السجلات العسكرية العثمانية أن الآي الواحد يتكون من ثلاث كتائب مشاة ، والكتيبة الواحدة تتكون من ثمانية أفواج.

١- سنجق صنعاء والقرى والنواحي التابعة لها ٢٣٨ عنصراً.
٢- قضاء حراز ٧٠ عنصراً .
٣- قضاء حجه ٧٠ عنصراً .
٤- قضاء يريم ٤٩ عنصراً .
٥- قضاء كوكبان ٤٩ عنصراً .
٦- قضاء ذمار ٤٩ عنصراً .
٧- قضاء رداع ٤٠ عنصراً .
٨- قضاء آنس ٤٠ عنصراً .
٩- قضاء عمران ٤٠ عنصراً .

المجموع بما فيهم جندرمة العاملة في سيخته صنعاء / ٦٤٥ / عنصراً نسبة اليمنيين العاملين تزيد عن ٨٥ % من عناصر الجندرمة[١].

أما سنجق تعز فقد كلف بضبط شؤونه الطابور الثاني مع أقضيته ونواحيه وقراه وذلك على النحو التالي[٢]:
١- مركز سنجق تعز ١٥٧ عنصراً.
٢- قضاء الحجرية ٤٩ عنصراً.
٣- قضاء إب ٤٩ عنصراً.
٤- قضاء قعطبه ٤٩ عنصراً.
٥- قضاء العدين ٤٩ عنصراً.
٦- قضاء المخا ٤٩ عنصراً.
٧- حلة وشعيب ٤٩ عنصراً.
المجموع : بما فيها عناصر المركز / ٤٥١ / عناصراً.

١ – غير متأكدين من مشاركة اليمنيين بهذه النسبة التي ذكرتها دولة علية سالنامه سي لسنة ١٣١٤هـ، وهو احتمال تقديري بني على قانون تنظيم الولايات الصادر سنة ١٨٦٤م.
٢ – عبدالكريم العزيز، الإدارة المحلية في اليمن، ١٨٥٠–١٩١٨م، صنعاء، ٢٠٠٣م، ص٢٦٧–٢٦٨.

أما سنجق الحديدة فقد كلف بضبط شؤونها الطابور الثالث، وقد وزع على النحو الآتي[١]:

١- مركز سنجق الحديدة ١٠٠ عنصراً.
٢- قضاء بيت الفقيه ٤٠ عنصراً.
٣- قضاء زبيد ٥٥ عنصراً.
٤- قضاء أبو عريش ٥٥ عنصراً.
٥- قضاء باجل ٥٥ عنصراً.
٦- قضاء الزيدية ٥٥ عنصراً.
٧- قضاء اللحية ٥٥ عنصراً.
٨- قضاء حجور ٥٥ عنصراً.
٩- قضاء جبل ريمه ٥٥ عنصراً.

المجموع : بما فيه سنجق الحديدة (٥٢٥) عنصراً .

أما سنجق عسير فقد كلف الطابور الرابع بضبط شؤونه، وقد وزعت عناصر الجندرمة على أقضيته على النحو الآتي[٢]:

١- مركز سنجق عسير أبهاء ١٠٩ عناصر.
٢- قضاء محايل ٤٩ عنصراً.
٣- قضاء رجال إلمع ٤٩ عنصراً.
٤- قضاء قنفذة ٤٩ عنصراً.
٥- قضاء غامد ٤٩ عنصراً.
٦- قضاء بني شهر ٤٩ عنصراً.
٧- قضاء جبار ٤٩ عنصراً.

المجموع بما فيه عناصر مركز السنجق ٤٠٣ عناصر.

إذا كان تشكيل قوات الجندرمة لتطبيق القانون والنظام ، فإن لوثائق العثمانية لم تفدنا بأن هذا التشكيل نجح في مهامه في الولايات العربية ، وتعد بلاد الشام بولاياتها من أكثر الولايات التي أسهمت مع الجندرمة في تطبيق الأمن والاستقرار ، ولا سيما المدن ، لأن حياة تلك المدن قائمة على التجارة ،

---

١ – المرجع السابق نفسه، ص ٢٦٨.

٢ – عبدالكريم العزيز، مرجع سابق، ص ٢٦٨.

أما في اليمن، فإن هذا التشكيل العسكري الأمني لم يحقق الأهداف المرجوة منه، لأن العناصر اليمنية العاملة فيه " كانت قبلية " وقد تهاون أفراد كل قبيلة مع أفراد قبيلته ، بل على العكس من ذلك ، وبحسب ما ذكره قائد الآي الحديدة أحمد شفيق أفندي ، وتقرير رفعت أفندي قائم مقام جبل ريمه إلى نظارة الداخلية بتاريخ ٢٧ رجب سنة ١٢٩٨هـ / ١٨٨٠م بأن العناصر اليمنية لم تلتزم بالنظام الواجب عليها الالتزام به، فضلاً عن ذلك فقد مارست بعض العناصر على القبائل المعادية لقبليتها نوعاً من التعدي، مما دفعنا إلى تسريح بعضها من الخدمة ، علاوة على ذلك، فإن بعض العناصر الأخرى، لا سيما في جبل ريمه بعضها من سلم سلاحه وترك الخدمة، والبعض ترك الخدمة وأخذ السلاح معه.

٣- القوات العسكرية العثمانية في اليمن :

لقد امتازت الدولة العثمانية منذ قيامها حتى العشرينيات من القرن التاسع عشر بأنها دولة عسكرية، وما أقامت عليه من تنظيماتها العسكرية بعد الثلاثينيات ، اعتمدت بالدرجة الأولى على خبرتها السابقة في المجال العسكري[١].

بناء على ما تقدم، وبما أنها تدرك أهمية اليمن من الناحية الاستراتيجية بشكل خاص، فقد نظمت قواتها التي أرسلتها إلى اليمن إلى ثلاثة صنوف[٢].

الصنف الأول القوة النظامية : وهي قوة حديثة العهد وتدريبها يعتمد على أسلوب علمي حديث، لها نظامها وقادتها، والصنف الثاني، القوات الاحتياطية.

أما الصنف الثالث: هو القوة المتحفظة ، وهذا القوات بتصنيفاتها الثلاثة، عملت في ولاية اليمن، وتزايدت أعداد الفرق العسكرية العثمانية مع مطلع القرن العشرين وظهور بوادر حرب كونية، كلفت الدولة الجيش السابع بحماية اليمن الدفاع عنها، وتقرر أن تكون صنعاء عاصمة الولاية مقراً لقيادة الجيش السابع.

---

١ – عبدالعزيز الشناوي، الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، جزءان، القاهرة ١٩٨٠م، ج١، ص٥٢٠.

٢ – عبدالكريم العزيز، مرجع سابق، ص٢٧١.

جمعت عناصر الجيش السابع من الأتراك والعرب (بلاد الشام) إضافة إلى وجود عناصر من الألبان والعراق والشراكسة، ولم تسمح الدولة العثمانية لليمنيين بالانخراط في الجيش السابع، في حين سمحت لهم الانتساب إلى الجندرمة.

وبالرجوع إلى الوثائق وكتابات العلماء اليمنيين خاصة، يمكن القول إن الجيش العثماني السابع في اليمن، انصرف إلى قمع التمردات التي دأب اليمنيون على القيام بها ضد العثمانيين، علاوة على أن تلك القوة التي أرسلت بحجة الدفاع عن اليمن، أرسلت لغرض الهيمنة العثمانية على اليمن بكاملها، وقد كانت الظروف تحتم على العثمانيين سحق أي قوة تظهر أي تحدٍ لهم .

يذكر عبدالكريم الغرير، أن العساكر العثمانية المتواجدة في اليمن، كانت مؤلفة مشاة بياده وسواري (خيالة) ومدفعية، وقد وزعت على سناجق الولاية، وتركز وجود المدفعية الثقيلة في الحديدة وسهل تهامة[١]، لأن العلاقات العثمانية البريطانية كانت سيئة للغاية، لأن السلطان عبدالحميد، كان يكره الإنكليز، ويعلم أن مصابه سببه الإنكليز[٢].

وقد أوردت التقويمات السنوية العثمانية لمحة عن تواجد التشكيلات العسكرية العثمانية في ولاية اليمن وسناجقها على النحو الآتي :-

١) مركز الولاية [٣] :

أ – مدينة صنعاء :

- ثلاثة طوابير بيادة (مشاة) .
- ثلاثة طوابير سواري (خيالة) .
- بطارية مدفع جبلية .
- استحكام بلوك واحد .
- نصف بطارية عدد (اثنين) .

ب- قفل حجة ، طابور بيادة (مشاة) .

---

١ – يمن سالنامه سي لسنة ١٣١٤هـ ، ص ٧٠ .

2 – yilmaz Akzade, Abdul Hamld devrl, Istanbul, ١٩٧٩ . S . ٣٢٥ .

٣ – yilmaz Ak zade (مرجع سابق) . ٣٧٥ . S . كما أن عبدالكريم العزيز ، ذكر ذلك ، فاضطررنا للأخذ بما ذكره في مؤلفه السابق ، ص ٢٧٦ – ٢٧٧ .

ج- بني العوام ثلاثة طوابير بيادة (مشاة) .
د – قضاء حجة خمسة طوابير بيادة (مشاة) .
ر- عمران طابور بيادة (مشاة) .
ز- مناخة ، طابورين بياده (مشاة).

٢) سنجق عسير:

أ – سبعة طوابير من منطقة أبها.
ب- طابورين سواري (خيالة) أبها.
ج- استحكامات في أبها.
د- بطارية نصف سيار.
هـ- بطارية جبل.

٣) سنجق تعز:

وقد شكلت القوات العثمانية المرابطة على النحو التالي :

أ – طابور في مدينة تعز نفسها وطابوري ضاحيتها الجنوبية .
ب- بطارية مدفع سيار في صبر .
ج- بطارية مدفع جبلي في جبل العروس .
د- طابور ميادة (مشاة) في قرطبة .

٤) سنجق الحديدة :

شكلت القرارات المكلفة بحماية الحديدة وميناءها على النحو التالي :
طابور بيادة في مدينة الحديدة .
طابور بياده (مشاة) في اللحية .
ج- استحكام بلك في جبل ريمه ، وبجانبها طابور بيادة (مشاة)[١] .
د – نصف بطاريتين في الفحا.
كذلك فقد كلفت دورية محمولة (خيالة) بالتواجد يومياً في كل من كوكبان التابعة لسنجق صنعاء، ودورية راجلة في عمران .

١ – العزيز ، مرجع سابق ، ص ٢٧٦ – ٢٧٧ .

ودورية محمولة زبيد التابعة لسنجق الحديدة ، ودورية راجلة في بيت الفقيه ودورية محمولة (خيالة) قنفذة وأخرى راجلة في غامد[١] . أما صبيا فلم يكف العثمانيين أي تواجد مقراً رئيساً للأدريسي .

وعلى ضوء النظام العسكري العثماني فقد تألفت قيادة الطابور من :

١- قائد الطابور .
٢- أمين الحساب على قادة البلوكات .
٣- قادة البلوكات .
٤- معاون قائد البلوكات .
٥- أمين الجرنال (الجريدة) وبحسب ما أورده عبدالكريم العزيز ، فإن عدد القوات العثمانية العسكرية في ولاية اليمن بلغ (٢٤٥٤٤) جندياً تحت السلاح [٢] ، وأما علي رضا سيفي فذكر أن عدد القوات بلغ (٣٣٩٧٠) جندياً تحت السلاح عدا عن القوات البحرية المتمركزة في السواحل ومقرها الحديدة ، وقوات الجندرمة المكلفة بضبط الأمن وربطه في ولاية اليمن .

لم تفدنا المصادر العثمانية عن قوات الرديف المساعدة للقوات في حال قيام اضطرابات داخلية، لأن قيادة التشكيلات العسكرية، غير مكلفة بإرسال قوات نظامية لفض الاحتجاجات، وفي حال اشتداد الاضطرابات وتحولها إلى اقتتال فبإمكان قادة التشكيلات العسكرية تزويدهم بقوات من الحجاز ، وأن قيادة التشكيلات العسكرية العثمانية في جدة ، مكلفة رسمياً من ناظر الحربية بإرسال قوات إلى اليمن لفض الاحتجاجات، أو لمساندة قوات الجندرمة في رد القبائل المهاجمة للقوات العسكرية العثمانية[٣]

أما القوات البحرية العثمانية المتواجدة في اليمن، فقد تمركزت بشكل رئيس في الحديدة، لأن معظم سواحل الخليج واليمن، كانت قد احتلت من قبل بعض الدول الأوربية، وذلك على النحو التالي:

---

١ – علي رضا سيفي ، حركات بحرية ، استانبول ١٩٣٥ ، ص ٣٨٥ .

٢ – عبدالكريم العزيز، مرجع سابق، ص٢٧٧ .

3 – basbkanLIk klrsivi, Ceveet Askeriye,NO. 3952.

- بريطانيا احتلت عدن وسواحل الخليج والسودان.

- فرنسا احتلت جيبوتي وجزيرة بريم اليمنية، والشيخ سعيد، ثم انسحبت منها لأسباب خاصة بها.

- إيطاليا احتلت الصومال والحبشة وارتيريا، وبدؤا التدخل بشؤون المناطق المجاورة لها، وكان الايطاليون يدركون جيداً أن تواجدهم في تلك المناطق غير مرغوب به، وكانوا يهدفون من تواجدهم إرغام الدولة العثمانية على التنازل لهم عن ولاية طرابلس الغرب (ليبيا) ولم يتحقق ذلك إلا في سنة ١٩١١م[١].

إن زيادة التنافس الاستعماري على اليمن وفسح الجال لتهريب السلاح إلى تلك المناطق وخاصة اليمن، بهدف إشغال العثمانيين بالشؤون الداخلية لليمن، وصرف أنظارهم على الاجراءات العسكرية التي تتخذها بريطانيا في الخليج وساحل البحر الأحمر.

لم تفدنا المصادر العثمانية كثيراً عن التشكيلات البحرية العثمانية التي تمركزت بشكل رئيس في اليمن، وقد اقتصرت القوات البحرية العثمانية على سفن من نوع غاليوطه وفرقطية وكالون، وزود بعضها بمدافع متوسطة، واتخذت جزيرة كمران (قمران) كنقطة حراسة، لأن القوات البحرية العثمانية، اقتصرت مهمتها خلال المراحل الأولى على مراقبة السواحل اليمنية، والتأكد من البضائع والسفن التي تدخل ميناء الحديدة، كما كلفت زوارقها بمرافقة السفن التجارية الى الميناء تفريغاً وحمولة.

ويفيد عبد الكريم العزيز أن سفن الدولة العثمانية قامت بمصادرة الأسلحة المهربة الى اليمن، فضلاً عن مراقبتها للدول الأوربية (الاستعمارية) في البحر الأحمر، ووزعت قواتها البحرية على النقاط الاستراتيجية في ولاية اليمن[٢].

---

١ – أمال إبراهيم، الصراع الدولي حول البحر الأحر في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، صنعاء، ١٤٢٣هـ/ ١٩٩٣م، ص١٩–٢٠.

٢ – آمال إبراهيم، الصراع الدولي حول البحر الأحمر، مرجع سابق، نفسه، ص٥٤–٥٨.

لقد ركزت الدولة العثمانية نشاط البحر الأحمر على عدن ومضيق باب المندب، لكن بريطانيا أخفت عنها جميع تحركاتها البحرية، ولم تتمكن الدولة العثمانية في السنوات الأخيرة من القرن التاسع عشر، من رصد التحركات البريطانية؛ بسبب المشكلات الداخلية التي كانت تعصف بإدارتها، فضلاً عن ذلك فإن الخط الحديدي الحجازي زاد من حقد بريطانيا على السلطان عبد الحميد الثاني الذي تعامل بقساوة، وقرب اليه الألمان الأعداء التقليديون للبريطانيين[١].

لقد اختلفت الأحداث في ولاية اليمن وخاصة بعد سنة ١٩٠٤م، لأن الامامة الزيدية أسندت إلى الإمام يحي حميد الدين الذي ناصب الدولة العداء[٢] فتوترت العلاقات بين الطرفين، واستمرت على أشدها حتى عقد اتفاق دعان١٩١١م.

وهكذا يلاحظ أن السلطان عبد الحميد قدم لليمن إصلاحات إدارية وخفف عنهم الضرائب، وحذر ولاته من اعتماد القسوة حيال اليمنيين، وكان في فرماناته التي زادت عن الخمسين فرماناً يشكر باليمن وأهلها، مما يدلل على مدى الأهمية السياسية لليمن بالنسبة للإدارة العثمانية.

قائمة بالمصادر والمراجع:

١- أرشيف رئاسة اوزراء، استابول، فرمان ٢٩٠ تاريخ ١٥ ربيع الأول لسنة ١٢٨٩ه/ ٨ آذار ١٩٧٢م.

٢- جودت أحمد باشا، تاريخ جودت، استانبول ١٣٠٩ه.

1 – Irade dahiLye NO.816001, cevdet NaFia.

٢ – فؤاد الشامي، العلاقات بين الإدارة العثمانية والامام يحي ١٣٢٢– ١٣٣٧هـ/ ١٩٠٤–١٩١٨م، رسالة دكتوراه غير منشورة، ص٦٥.

٣- أرشيف رئاسة الوزراء، قسم يلدز، محفظة رقم ٢٥٧، كرتونة رقم ٣٧ لف ٣-٢.

٤- نظارات المعارف والنشر العثمانية لسنة ١٢٩٨ه.

٥- نظارات معارف استانبول، سجلات الإفتاء رقم ٩٨و١٠٣.

٦- أرشيف رئاسة الوزراء، استانبول، إدارة داخلية، رق ١٨٥٧.

٧- أرشيف رئاسة الوزراء، استانبول، إدارة داخلية، تصنيف يلدز، كرتونه ٤/٦١/ تاريخ ١ ربيع الثاني ١٣٠٩ه/ تشرين الثاني ١٨٩١م.

٨- نور رضا، تورك تاريخي، أنقرة، ١٩٢٤مج٥، ص٤٦٧.

٩- اليمن لائحتي محمد خليل أفندي، أرشف رئاسة الوزراء، جودت نافعة، رقم ١٤٣٥.

١٠- مجموعة مؤلفين، السلطان عبد الحميد ثاني ودور سلطنتي، استانبول ١٣٠٥ه،

١١- أرشيف رئاسة الوزراء، يلدز تصنيفي، كرتون رقم ٣١١ فرمان رقم ٥٣.

١٢- يمن سالنامه سي لسنة ١٣١٦هـ

١٣-عبدالكريم العزيز، الإدارة المحلية في اليمن، ١٨٥٠-١٩١٨م، صنعاء، ٢٠٠٣م.

١٤- عبدالعزيز الشناوي، الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها ، جزآن، القاهرة ١٩٨٠م ، ج١

١٥- علي رضا سيفي ، حركات بحرية ، استانبول ١٩٣٥.

١٦- أمال إبراهيم، الصراع الدولي حول البحر الأحر في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، صنعاء، ١٤٢٣ه/ ١٩٩٣م.

١٧- فؤاد الشامي، العلاقات بين الإدارة العثمانية والامام يحي ١٣٢٢-١٣٣٧ه/ ١٩٠٤-١٩١٨م، رسالة دكتوراه غير منشورة.

lrade dihillye NO. 2366 sene 1300 H, 1888 Miladl

Irade dahiliye, No. 83202.

Divan Ahkars , Adlige N. ٧٣٤ve ٧٣٥ .
Arsivi osmail, Muhime Metum, No. ٢٤١٠ .
Irade dahiliye , cevdel Asklrlye, No. ٣١٦٤ .

Reza Nur, yemen vila yetlnde Janderme Teskilatl, lstanbul, ١٩٢٨ . S . ٩٢ .

yilmaz Akzade, Abdul Hamld devrl, Istanbul, ١٩٧٩ . S . ٣٢٥ .

basbkanLIk klrsivi, Ceveet Askeriye, NO. 3952

lrade dahiLye NO.816001, cevdet NaFia.